كتيب تفسير وتدبر سورة النحل

من الآية ١ إلى ٦٤

إعداد وبحث: الباحثة غصون بنت الصديقة

المقدمة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، يسعدنا أن نقدم هذا الكتيب التدبري المستوحى من نظرات ودراسات الباحثة غصون بنت الصديقة في آيات سورة النحل؛ هذه السورة العظيمة التي عُرفت في التراث الإسلامي بـ "سورة النعم". يسلط الكتيب الضوء على الظلال التربوية، والإشارات اللغوية، والعمق الإيماني لربط الآيات بالواقع المعاش عبر خمسة محاور رئيسية ميسرة.

📑 المحور الأول: جلال الألوهية وبداية النعم (الآيات 1 - 9)

تبدأ السورة بافتتاحية تهز النفوس وتدعو إلى اليقظة، ثم تستعرض أصول النعم التي لا غنى للخلق عنها.

🔍 التفسير والبيان

- **«أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ»**عبر بصيغة الماضي (أتى) عن أمر مستقبل (القيامة أو نصر الله) لتأكيد حتمية وقوعه، وكأنه حدث بالفعل.
- **خلق الإنسان والأنعام:**ذكر الآيات خلق الإنسان من نطفة، فإذا به يتحول إلى "خصيم مبين" يجادل خالقه. ثم تعطف على خلق الأنعام وما فيها من منافع دافئة (الدفء، المنافع، والأكل)، وتبرز لفتة جمالية فريدة: **«وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ»**الإسلام لا ينظر للأنعام كأداة استهلاك فقط، بل يرى فيها متعة بصرية تسعد النفس عند عودتها مساءً (تريحون) وخروجها صباحاً (تسرحون).

> 💡 **وقفات تدبرية للباحثة غصون بنت الصديقة**
>
> **تناقض النطفة والخصومة:** تأمل كيف يذكّر الله الإنسان بأصله (نطفة) ليداويه من مرض الكبر. كيف لمن بدأ من هذا الماء المهين أن يصبح مجادلاً عنيداً لرب العالمين؟
>
> **جمال الرعي:** تم تقديم "حين تريحون" على "حين تسرحون" في آية الجمال؛ لأن النفس تكون أكثر أنساً وفرحاً عند عودة الأنعام وهي ممتلئة البطون والضروع، مجتمعة في الفناء، مما يوحي بالغنى والستر والراحة بعد العناء.

📑 المحور الثاني: معجزة الماء والكون المسخر (الآيات 10 - 18)

ينتقل السياق من خلق الأحياء إلى تسخير البيئة المحيطة التي تضمن استمرار هذه الحياة.

🔍 التفسير والبيان

- **الماء والنبات:** هو الذي أنزل من السماء ماءً، جعل لكم منه شراباً، ومنه ينمو الشجر الذي ترعون فيه أنعامكم (تسيمون). ومنه يخرج الزرع، والزيتون، والنخيل، والأعناب.
- **تسخير الفلك والكون:** الليل، النهار، الشمس، القمر، والنجوم. كل هذه المنظومة الضخمة تعمل بانتظام لأجلك. ثم يذكر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً (السمك) وتستخرجوا منه حلية (اللؤلؤ والمرجان).
- **«...لَا تُحْصُوهَا»:** النعمة هنا وردت بالمفرد، والمعنى: إن النعمة الواحدة (كالصحة أو الماء) تتفرع منها نعم جزئية لا حصر لها، فكيف بكل النعم؟

> 💡 **لفتات تدبرية**
>
> **تنوع الفواصل القرآنية:** خُتمت آية زراعة الأرض بـ**«لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»** لأن الزراعة تحتاج لتأمل وتفكر في خروج الثمر. بينما خُتمت آية تسخير الليل والنهار بـ**«لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»** لأن حركة الأجرام تتطلب عقلاً يدرك القوانين الكونية. وخُتمت آية اختلاف ألوان ما ذرأ في الأرض بـ**«لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ»** لأن تنوع الألوان والبيئات تذكير مستمر بطلاقة القدرة.
>
> **اللحم الطري:** وصف سمك البحر بـ "اللحم الطري" إشارة إلى سرعة فساده ولطف الله بتيسيره، وفيه لفتة إلى منة الله بتسخير هذا الغذاء اللين من بيئة مائية مالحة.

📑 المحور الثالث: إبطال الشرك وعجز الأنداد (الآيات 19 - 29)

بعد استعراض النعم، يقارن القرآن بين الخالق المنعم وبين الأوثان والمخلوقات العاجزة.

🔍 التفسير والبيان

- **«أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ»** استفهام توبيخي يوضح الفارق العقلي الشاسع. الله يخلق ويبدع، والأصنام أو الأنداد لا تخلق شيئاً بل هي تصنع وتُخلق.
- **«أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ»** نفى عنها صفة الحياة تماماً، ونفى عنها العلم بأخص خصائص الغيب وهو وقت البعث.
- **موقف المستكبرين:** عند سؤالهم عما أنزل الله، يقولون خرافات وكذب (أساطير الأولين)، ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم.

> **💡 وقفات تدبرية للباحثة غصون بنت الصديقة**
>
> **«أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ»:** قد يبدو للوهلة الأولى تكراراً، لكن الجمع بينهما ينفي أي شبهة مجازية. فهم أموات الآن، ولن تعود لهم الحياة أبدًا لإنقاذ من عبدوهم.
>
> **مكر الذين من قبلهم:** وصف الله مكرهم **«فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ»** وهو تصوير حسي عجيب لخراب تخطيطهم وسقوطه فوق رؤوسهم من حيث ظنوا أنه يحميهم، وفي هذا تسلية لقلب النبي والمؤمنين.

📑 المحور الرابع: مشهد الموت ومآل الفريقين (الآيات 30 - 44)

يوازن السياق هنا بين نهاية أهل التقوى ونهاية أهل التكبر، لتتجلى عاقبة الاختيار الإنساني.

🔍 التفسير والبيان

- **قيل للمتقين:** ماذا أنزل ربكم؟ قالوا: "خيراً". كلمة واحدة تختصر الرضا واليقين. جزاؤهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.
- **وفاة المتقين:** توفاهم الملائكة في حالة من النقاء (طيبين)، ويبشرونهم فور الموت **«سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»**.
- **وفاة الظالمين:** توفاهم الملائكة وهم ظالمو أنفسهم، فيستسلمون كذباً (فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء)، فيرد عليهم: بل إن الله عليم بما كنتم تعملون، فادخلوا أبواب جهنم.

> 💡 **وقفات تدبرية**
>
> **بلاغة الجواب:** شتان بين من قال **«أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ»** (حكايا قديمة مفبركة) وبين من قال **«خَيْرًا»**. الكلمة الأولى تعكس قلباً مشحوناً بالإنكار، والثانية تعكس نفساً تذوقت حلاوة الوحي والهدى.
>
> **«طَيِّبِينَ»** كلمة تشمل طهارة العقيدة، وطيب الكلام، وزكاة النفس. وكأن الموت للمؤمن هو بوابة العبور بسلام وطمأنينة، حيث تسلم عليه الملائكة وتنزع روحه برفق ولين.

📑 المحور الخامس: الوحي، السنن الكونية، ومهمة الرسول (الآيات 45 - 64)

يختتم هذا الجزء بتأكيد هيمنة الله على الكون، وعلاج كبر المشركين، وبيان وظيفة الرسول الأساسية تجاه الاختلاف البشري.

🔍 التفسير والبيان

- **المكر الإلهي بالمتكبرين:** تهديد الله الذين يخططون للشرور بأن يخسف بهم الأرض، أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون، أو يأخذهم في تقلبهم وحركتهم (تقلبهم فما هم بمعجزين)، أو يأخذهم على تخوف (نقص تدريجي من الأموال والأنفس).
- **سجود الظلال:** **«أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ»**، حتى ظلال الأشياء تسجد وتنقاد لأمر الله التكويني وهي خاضعة (داخرون).
- **وظيفة الكتاب:** **«وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»**. القرآن هو الفيصل والحكم الذي يرفع الخلاف ويهدي للحق.

> 💡 **وقفات تدبرية للباحثة غصون بنت الصديقة**
>
> **«أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ»:** من معانيها اللطيفة أن يصابوا بنقص تدريجي مرعب، فيعيشون في خوف دائم من المصيبة قبل وقوعها. ثم تذيل الآية بـ **«فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ»** لتبيين أن إمهالهم وعدم إهلاكهم فجأة هو من رأفته ورحمته بهم لعلهم يتوبون ويرتدعون.
>
> **سجود الظلال:** الكون كله مسبح وخاضع، حركة الظل وتمدده وانكماشه هي صورة من صور الانقياد التام للخالق. الإنسان هو المخلوق الذي أُعطي حرية الاختيار، فإذا كفر، كان شذوذاً عن هذا الكون الساجد الخاضع.

💎 خلاصة تدبرية عامة (بقلم الباحثة غصون بنت الصديقة)

إن تدبر الآيات الأربع والستين الأولى من سورة النحل يغرس في نفس المسلم عبادة "شكر النعم" والحياء من الله المنعم. فالكون مجهز ومسخر بدقة متناهية لخدمة الإنسان، والهدف من هذا التسخير ليس الطغيان والاستكبار، بل الخضوع والتوحيد: **«إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ»**. فكلما نظرت إلى مطر يسقط، أو ثمرة تنضج، أو ظل يتحرك، تذكر أن خلف هذا كله رباً غفوراً رحيماً يدعوك لتعرفه وتشكر فضله بالعمل الصالح والامتثال لأمره.

تم بحمد الله وتوفيقه.